

# المسيرة

أيار - حزيران ١٩٦١

المنشور في القاهرة والخرطوم

## المسيح في الإسلام

بقلم ميشال الحايك

دكتور في اللاهوت، حجاز في الآداب  
استاذ في الجامعة الكاثوليكية بباريس

الفصل الثاني

## ذكر يا ويحي المصطفى

يذكر القرآن ذكرياً في آيات معدودات تفص سيرة الشيخ  
«الواهن العظيم»، وقد شارف الموت حاملاً غصة العاقر فلا ذرية له،  
وكيف كفل مريم في المحراب فأبصر عندها فأكبه في غير أوامها.  
كان ذلك من قطف الجنة، من رزق الله. واذ رأى العجوز المعجزة

طابت نفسه وتقوى إيمانه بالذي « يرزق بغير حساب » . عند ذلك نادى ربه في الخفية متوسلاً إليه ان يهبه ولدًا يرثه ، فاعطاه ربه يحيى ، اي يوحنا .

ويحيى هذا كان آية في الزهد والحرمان . لقد غلا كتاب قصص الأنبياء في وصف تقشف يحيى ، وقد غلبت عليه حالة البكاء والرغبة خشية النار . ولكن لم يرد شيء في القرآن عن ذلك سوى أن يحيى كان حصوراً ، فهو والمسيح الأعزبان الوحيدان بين الانبياء حسب الاسلام وفيه من الاحاديث مثل : « ان من سنتي النكاح ، والنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء » ...

اما ما ذكر من قصته وقصة أبيه زكريا فهو مرهون باصوله اليهودية - المسيحية وقد اختلطت أحياناً على مؤلفيها فكوّنت سيرة شك في سرد بعض فصولها غير واحد من مؤرخي الاسلام كاطبري مثلاً .

وقد حاول المنسرون شرح كلمة يحيى بمحاولات فاشلة ؛ ولا شك في انها من أصل قريب من السريانية ، وهي لغة المندائيين وكانوا شيعة في شمال الجزيرة العربية تكرم « يحيو » وتعتمد بالممودية التي جاء بها سابقاً للمسيح .

### مختصر سيرة زكريا ويحيى

وزكريا وهو زكريا بن ادق من ولد داود من سبط يهوذا وكان تزوج اشباع بنت عمران اخت مريم بنت عمران ام المسيح وهو عمران بن ماران بن يعاقيم من ولد داود ايضاً . واسم ام اشباع ومريم حنه وولدت لزكريا يحيى . وكان يحيى ابن خالة المسيح وكان زكريا نجاراً وأشاعت اليهود أنه ركب مع مريم الفاحشة فقتلوه . وكان لما أحس بهم جأ الى شجرة فدخل في جوفها فدأهم عدو الله ابليس عليه فقتلوا الشجرة وهو فيها فقطعوها وقطعوه معها .

ولما ولدت اشباع بنت عمران اخت مريم ام المسيح يحيى بن زكريا هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلاً بعث الله الى بني اسرائيل فقام فيهم باسم الله ونبيه فقتلوه وكثرت الاحداث في بني اسرائيل فبعث الله اليهم ملكاً من ناحية الشرق يقال له خردوش فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفاً من الناس الى ان هدا الدم بعد خطب طويل<sup>(١)</sup> .

### نذر مريم وكفالة زكريا

وكان زكريا بن برخيا<sup>(٢)</sup> ابو يحيى بن زكريا ، وعمران بن ماثان ابو مريم متزوجين باختين احدهما عند زكريا وهي ام يحيى والاخرى منها عند عمران بن ماثان وهي ام مريم فمات عمران بن ماثان وام مريم حامل فلما ولدت مريم كفها زكريا بعد موت امها لان خالتها اخت امها كانت عنده ، واسم ام مريم حنة بنت فاقوذ ابن قيبيل ، واسم اختها ام يحيى الاشباع<sup>(٣)</sup> ابنة فاقوذ .

وكفها زكريا وكان مسنة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازر بن أليوذ بن آحين بن صادق بن عازور بن ألياقم بن أبيوذ بن زديابل بن شليل ابن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن آحاز بن يوتام بن عوزيا

(١) الموردي ، مروج الذهب ، ١ : ١٢٠-١٢٢

(٢) زكريا بن برخيا هو تاريخياً غير زكريا ابى الممدان ، فبينها أكثر من سبابة

سنة ، اذ ان زكريا بن برخيا هو ماصر للنبي اشيا الذي ذكره في نبوته ، ٨ : ٢

(٣) والاصل لتعريب كلمة « الاشباع » هو مرياني .

ابن يورام بن يهوشافاط بن آسا بن ابيآ بن رحبم بن سليمان بن داود ابن عم مريم<sup>(٤)</sup> .

اما ابن حميد فانه حدثنا عن سلمة بن اسحاق انه قال : مريم فيها بلغني عن نسبها ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحزيب بن يوتم بن عزريا بن امصيا بن ياروش بن احزيو بن يارم بن يهشافاط بن آسا بن ابيآ بن رحبم بن سليمان<sup>(٥)</sup> .

فولد لـ زكريا يحيى بن خالة عيسى بن مريم قنبي صغيراً فراح ثم دخل الشام يدعو الناس ، ثم اجتمع يحيى وعيسى ثم افترقا بعد ان عتد يحيى عيسى<sup>(٦)</sup> .  
قال الله تعالى : اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً - الايات - . قال المفسرون : هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام . وعمران : قال ابن عباس : هو عمران بن ماثان وليس بمسران الي موسى اذ بينها الف وثمانمائة سنة . وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم . وقال ابن اسحق : هو عمران بن ساهم بن امور . . . ابن سليمان بن داود عليه السلام .

وكانت القصة في ذلك ان زكريا بن يوحيا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين ، احدهما عند زكريا بن يوحيا وهي ايشاع بنت فاقوذ ام يحيى ، وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ ام مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى ايست وعجزت وكانوا اهل بيت من الله فكان فينا هي في ظل

(٤) هذا النسب هو ذاته كما في الكتاب المقدس ؛ راجع انجيل متى ١٦: ١ ، لولا بعض الاخطاء التي قد تكون نتيجة تداول النص بين ايدي الكتبة ، وهكذا تجد تحريفاً لبعض الاسماء . وهي في الانجيل كذلك تُترجم من ابراهيم الي داود ، وهذا ما امله الطبري ، ومن داود الي سليمان ، رحبم ، ايا ، آسا ، يوشافاط ، يورام ، عزيا ، يورام ، آحاز ، حزقيا ، منسى ، أمون ، يوشيا ، يكنيا ، شائيل ، المازر ، يعقوب ، يوسف .

(٥) لا ذكر في الانجيل لنسب مريم ، ولذلك حار الطبري بين اسما اخذت هنا وهناك وحاول التوفيق بين ما يرف عن قرابة مريم ويوسف من جهة ، وبين ما يقول القرآن عن صلة مريم بمسران من جهة اخرى .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣١٠ : ٧١١-٧١٢ .

شجرة اذ نظرت طائراً يطعم فرخاً فتحركت عند ذلك شهوتها للولد. ودعت الله تعالى ان يهب لها ولداً وقالت: اللهم لك علي ان رزقتني ولداً ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سنته وخدمته نذراً وشكراً فحلت بمریم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت: ربي اني نذرت لك ما في بطني محرراً أي عتيقاً من الدنيا واشتاقاً خالصاً لله تعالى وخادماً لبيتك المقدس حبساً عليه مفرغاً لعبادة الله وخدمته - فتقبل مني - الكائن ، انك انت السميع العليم<sup>(٧)</sup>.

قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والنذور في الكنيبة يقوم عليها ويكنسها ويحدها ولا يبرج عنها حتى يبلغ الحكم فاذا بلغ خبيرين ان يقيم وبين ان يذهب حيث شاؤا، وان اراد ان يخرج بعد التخيير ايتاؤن رفقاه من السنة ليكون خروجه على علم منهم . ولم يكن من بني اسرائيل وعلماهم الا من في نسله محرر لبيت المقدس ، ولم يكن محرراً الا الظلم ، وكانت الجارية لا تكلف ذلك لما يصيبها من الحيض والاذى ، فحررت ام مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها : ويحك ما صنعت ؟ ارايت ان كان في بطنك انثى والاتى عورة لا تضلح لذلك فوقما جيساً في هم من ذلك . فهلك عمران وحنة حامل مريم ، فلما وضعها اذا هي جارية ، فقالت حنة وكانت ترجو ان يكون غلاماً اعتذاراً الى الله : رب اني وضعت انثى ، والله اعلم بما وضعت . وليس الذكر كالاتى - اي في خدمة الكنيسه والعبادة فيها

(٧) قابل هذا بنصرص الاناجيل المتحولة حيث تجد هذه القصة التي لا يستطيع علم التاريخ ان يثبت صحتها : « وبينما كانت حنة تبكي ( لتياب زوجها يواقيم ) في جثينة دارها رفعت في صلاحها عينها الى الله فرأت عبثاً في شجرة غار ، فنضرت لله هاقنة والتهدات تنطع كلامها : « اللهم اليد الضابط للكل الذي وهبت نسلًا لكل الملائق ، للوحوش والدواب والحيات والاسماك والطيور ، والذي جعلها جميعاً تفرح بذريتها والذي حرمتي انا من نعمة عطاياك هذه . انت تعلم اللهم اني منذ بدء زواجي نذرت ان احرق لبيتك المقدس الولد الذي خصني اباه ذكراً كان ام انثى » انجيل متى المزموم<sup>٤</sup> ٣ : ٢ ؛ انجيل ياقوب الموضوع<sup>٤</sup> ٣ : ٣-١ ؛ اما في النص الارمني لكتاب الطفولة<sup>٤</sup> ٢ : ٢ ، فهو يواقيم وليست حنة من يدعو الله ليرزقه ولداً .

لموتها وضعها وما يعترها من الحيض والنفاس والاذى - واني سئمتها مريم - وهي بلغتهم العابدة والخدمة . وكانت مريم عليها السلام اجمل النساء وامثلهن في رقتها<sup>(٨)</sup> .

ثم لقتها في خرقة وحماتها الى المسجد ووضعتها عند الاجبار ابنا هارون وهم يلون من بيت المقدس ما يلي بني شية من الكعبة فقالت : دونكم هذه المنذورة . فتانسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم . فقال زكريا : انا احق بها لان خالتها عندي . فقالوا : لكننا نقرع عليها لان خالتها عندي . فقالوا : لكننا نقرع عليها . فالتقوا اقلامهم في نهر جار قيل هو نهر الاردن<sup>(٩)</sup> فالتقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكسبون بها التورية ، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم<sup>(١٠)</sup> .

(٨) الشطي ، عرائس المجالس ، ٣٧١ ؛ الكسائي ، قصص الانبياء ، ٣٠١-٣٠٢ .

(٩) يقول الكسائي اخم القوا اقلامهم في عين سلوان ، قصص الانبياء ، ٣٠٢ .

(١٠) تذكر الاناجيل المنحوتة هذا الاقتراع وترجم ان زكريا نهبه اجزاء بامر ملاك الرب اذ ظهر له قائلاً : يا زكريا ، يا زكريا ، اخرج ( وكان يصلي لاجل مريم في قدير الاقداس من الميكل ) واجمع الايمان من الشعب ، وليأت كل منهم بروحة ، والذي يبعث الله نه بمجزة نصبح زوجاً له . فخرج المتادون واعلنوا ذلك في كل بلاد يهوذا ؛ وفتح في الصور فتناظر الجميع . اما يوسف ( وكان نجاراً ) فترك قلمه وجاء ملتجئاً بهم . فاجتمعوا وجاهزوا حاملين مراوحهم الى رئيس الكهنة . وهذا اخذ المراوح ودخل الميكل ففصل ولما اتى من صلاته اخذ المراوح فخرج واعادها لاصحابها ولم تحدث مجزة . ولما استرجع يوسف مروحة ، اذا بجامة تخرج منها وتطير فوق رأسه . عند ذلك قال رئيس الكهنة ليوسف : « لقد وقت الفرعة عليك لتكفل عذراء الرب » . اما يوسف فقال مترشاً : « ان لي دين وانا شيخ ، وهي طفلة ( وكانت في الثانية عشرة ) ؛ فلا يليق بان اصبح مزأة لبني اسرائيل » . فقال له رئيس الكهنة : « اتور الرب الهك . . . » ويوسف امتلاً خوفاً وكفل مريم ؛ انجيل يهوذا انوزوع ، ٩ : ١-٣ ؛ قابل بانجيل متى المزعم ، ٨ : ١٥ . حيث تجد بعض التفاصيل والمتناقضات مع النص الاول : عوضاً عن ١٣ سنة ، ١٥ سنة كذا كان عمر مريم وقت الاقتراع . وهذه الفرعة وقت بين اسباط اسرائيل الاثني عشر ؛ اسم رئيس الكهنة ايطار . وراجع ايضاً قصة يوسف النجار ، في نصها العربي القديم ، الذي يذكر الاقتراع ونتيجته دون ان يذكر الاقلام او المراوح ، ٣-٣

### بشارة زكريا ومولد يحيى

فأخذها وكفلها وضمها الى خالتها ام يحيى واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة في المسجد لا يرى اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. فيقول : أتى لك ذلك فتقول : هي من عند الله<sup>(١١)</sup> فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء. وفاكهة الشتاء في الصيف فقال : ان الذي فعل هذا بريم قادر على ان يصلح لي زوجتي حتى تلد فقال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فبينما هو يعطي في المذبح الذي لهم ، فاذا هو برجل شاب ، هو جبرائيل ففرغ زكريا منه فقال له : ان الله يشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله ، يعني عيسى بن مريم عليه السلام . ويحيى اول من آمن بعيسى وصدقته وذلك ان امه كانت حاملاً به فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها : يا مريم احامل انت ؟ فقالت لماذا تسأليني ؟ قالت : اما اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك<sup>(١٢)</sup> ؛ فذلك تصديقه . وقيل صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين ، وسماه الله تعالى ولم يكن قبله من تسمى بهذا الاسم ، قال الله تعالى : لم نجعل له من قبل سمياً ، وقال تعالى : والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً . قيل : ارحش ما يكون ابن آدم في هذه الايام الثلاثة فلمه الله من وحشتها . وانما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة اشهر . وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان . قال : رب انى يكون لي ولد وقد باعني الكبر وامرأتى عاقراً ؛ وكان عمره اثنين وتسعين سنة . فقيل له لذلك : الله يفعل ما يشاء . وانما قال ذلك استخباراً هل يورث الولد من امرأته العاقرة ام غيرها ، لا انكاراً لقدرة الله تعالى . قال : رب اجعل لي آية ، قال : آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزاً . قال : أمك الله لسانه عقوبة لسؤاله - الآية - والرمز : الاشارة<sup>(١٣)</sup> .

(١١) هذه المعجزة التي اوردتها القرآن وتماثلها المؤرخون من بعده لم تذكرها الاناجيل المرحاة ولا الموضوعة منها .

(١٢) قابل بكلام الانجيل ، لوقا ، ١ : ٤١-٤٤ .

(١٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١١-٢١٣ ؛ قابل بنص الانجيل : « كان

قال محمد بن اسحاق : ثم اجابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها (أي تأكل من قطف الجنة) ثم ضف ذكرها على حملها فخرج الى بني اسرائيل وقال : يا بني اسرائيل تعلمون والله اني لقد كبرت وضمفت عن حمل ابنة عمران فأياكم يكفلها بعدي؟ فقالوا : والله لقد جهدنا واصابنا من الجهد ما ترى. فتدافعوها بينهم، ثم لم يجدوا من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام، فخرج السهم على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها. قال : فعرفت مزيم من وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له : يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا. فحمل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه تا يصلحها، فاذا ادخله عليها وهي

في ايام ميرووس ملك اليهودية كامن اسمه زكريا من فرقة ايا وامرأته من بنات هرون اسما اليصابات وكانا كلاهما بارين امام الله . . . ولم يكن لهما ولد لأن اليصابات كانت عاقراً، وكانا كلاهما قد تنديما في ايامها. وبينما كان يكهن في نوبة فرقة امام الله اصابته الترعنة على عادة الكهنوت ان يدخل ميكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلي خارجاً . . . فقرأى له ملاك الرب وانثفاً على يمين مذبح البخور فاضطرب زكريا حين رآه ووقع عليه خوف، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا فان طلبتك قد استجيت وامرأتك اليصابات ستلد ابناً فتسبه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده لانه يكون عظيماً قدام الرب ولا يشرب خمرًا ولا مسكرًا ويمثل من الروح القدس وهو في بطن امه ويرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب المهيم . . . فقال زكريا للملاك : لم أعلم هذا فاني انا شيخ وامرأتي قد تقدمت في ايامها. فاجاب الملاك وقال له : انا جبرائيل الراقف امام الله وقد ارسلت لأكلك وأبشرك بهذا وانك تكون صامتاً فلا تستطيع ان تكلم الى يوم يكون هذا لانك لم تصدق كلامي الذي سميت في اوائه. وكان الشعب منتظرين زكريا متمجبين من ابطائه في الهيكل، فلما خرج لم ينطق ان يكلمهم فلنوا انه قد رأى في الهيكل رؤيا، وكان يشير اليهم وبقي اياهم . . . اسما اليصابات فلما تم زمان وضها ولدت ابناً فسبح جيرانها واقاربها ان الرب قد عظم رحمته لما ففرحوا معها. وفي اليوم الثامن جادوا ليختنوا الصبي فدعوه باسم ابيه زكريا فاجابت امه قائلة : كلاً لبيك يدعى يوحنا، فقالوا لها : ليس احد في عشيرتك يدعى بهذا الاسم، ثم اومأوا الى ابيه ماذا يريد ان يسمى، فطلب لوحاً وكتب فيه قائلاً يوحنا، فنجبوا صكلمهم. وفي الخال انفتح فمه ولسانه وتكلم مباركاً لله؛ لوقا، ١-٥٧-٦٤.

في الكنيسة أفاء الله تعالى وكثره ، فيدخل إليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها : يا مريم أتى لك هذا؟ قالت : هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب<sup>(١١)</sup> .

الا ترى وفقك الله الى زكريا عليه السلام لما دخل على مريم المحراب وهي بتول محررة ... ورأى عندها رزقاً قطب من عند الله ذلك ان يهبه ولداً حين تمسح بجالها يقول : رب هب لي من لدنك ... ذرية طيبة انك سميع الدعاء . ومريم في خياله من حيث مرتبتها وما اعطاها الله من الاختصاص بالعناية الالهية فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ... ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً ، وهو الكمال لان مريم كملت فكل يحيى ، وحضوراً وهو الذي اقتطعه الله عن مباشرة النساء ، وهو المتين عندنا ، كما اقتطع مريم عن مباشرة الرجال وهي البتول فكان يحيى عليه السلام زائر النساء . كما كانت حنة مريمياً ، لان المريم المنقطعة من الرجال ، واسمها حنة ومريم لقب لها وصفت به كما ذكرناه آنفاً . فانظر ما اثر سلطان الخيال عن زكريا في ابنه يحيى عليه السلام حين استفرغت قوة زكريا في حسن حال مريم لما اعطاها الله من الميزة<sup>(١٥)</sup> .

روي ان جماعة قصدوا دار زكريا عليه السلام فاذا فتاة جميلة رائعة قد اشرق البيت لها حسناً قالوا : من انت؟ قالت : انا امرأة زكريا عليه السلام . قالوا بينهم : كئنا ترى نبياً الله زكريا لا يريد الدنيا فاذا هو قد اتخذ امرأة

(١٤) الشلبي ، قصص الانبياء ، ٣٧٣ ؛ هذا الاقتراع الثاني ان هو استنبط الا ليوفى بين اسرين ، اولها ما يقول القرآن عن كفالة زكريا لمريم ، وثانيها ما تقول الانجيل المنحول عن كفالة يوسف لمريم ؛ ولدى هذا المأزق التاريخي اختلق المؤرخ النصه هذه فتشابه دور زكريا ودور يوسف فاذا ما نجاران واذا ما كافلان مريم . اما تردد زكريا في حمل بنت عمران في زمن أزمة بني اسرائيل ، فهو تردد يوسف امام الكفالة ذاتها ولم يكن ذلك بسبب ضيق العيش فحسب بل نظراً لكبره . انظر اصل ذلك في انجيل يهويوب المنحول ، ٩ : ٢ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٤ : ٦-٥ ؛ انجيل متى المزعوم ، ٨ : ٤ .

(١٥) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ٣ : ٦٥٣

جميلة رائحة ، فقال عليه السلام : انما انا تزوجت امرأة جميلة رائحة لا كف بها بصري واحفظ بها فرجي<sup>(١٦)</sup> .

لقد روي عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيراً لقرم فقدموا له رغبة اذ كان لا يأكل الا من كسب يده . فدخل عليه قوم فلم يدهم الى الطعام حتى فرغ فمجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال : اني اعمل لقرم بالاجرة وقدموا اليّ الرغيف لا تقوى به على عملهم فاذا اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعت عن عملهم<sup>(١٧)</sup> .

### مصراع زكريا

لما قتل يحيى وسمع ابوه بقتله مرّ هارباً فدخل بيتاً عند بيت المقدس فيه اشجار فأرسل الملك في طلبه فرّ زكريا بالشجرة فتلدته : هلم يا نبي الله . فلما انشقت فدخلها فانطقت عليه وبقي في وسطها . فأتى عدو الله ابليس فأخذ هذب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقه اذا اخبرهم . ثم لقي الطلب فأخبرهم فقال لهم : ما تريدون ، فقالوا : نلتس زكريا ، فقال : انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها ، قالوا : لا نصدقك ، قال : فان لي علامة تصدقوني بها ، فأراهم طرف ردائه فأخذوا النؤس وقطعوا الشجرة باثنين وشقوها بالمنشار فأت زكريا فيها . فسلط الله عليهم اخبث اهل الارض فانقم به منهم<sup>(١٨)</sup> .

وقيل ان السبب في قتله ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف

(١٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ١٧٥ .

(١٧) النزالي ، احياء علوم الدين ، ٤ : ٢٦٧ ؛ الزيدي ، الخاف السادة المتقين ، ١٥ : ٢٨ ؛

ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٤ : ٣٠ .

(١٨) حسب نص الطبري ان الشيطان تشبه زكريا بسورة راع واوعز اليه ان يدخل الشجرة فدل عليه طالبه مشيراً الى هذب ردائه ، يزيد الطبري : « وليس تجد جردياً الا تلك الهدبة في ردائه » . ولكن سبب الهدبة هو غير ذلك : راجع الكتاب المقدس ،

سفر المدد ، ١٥ : ٣٨ . . .

زكريا يريم . . . فطلبوه فهرب من دخوله الشجرة فحو ما تقدم<sup>(١١)</sup> .

روي ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجئي. بالمنشار فقترت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا ، فأَنَّ منه أنة ، فأوحى الله تعالى اليه : يا زكريا لقد صدت منك أنة ثالثة لا محوتك من ديوان النبوة ، فعرض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قُطع شطرين<sup>(١٢)</sup> .

ويروى في بعض الاخبار ان زكريا عليه السلام لما وضع على رأسه المنشار أن أنة . فأوحى الله تعالى اليه : ان صدت الي منك أنة اخرى لا قلبن السوات والارض بعضها على بعض<sup>(١٣)</sup> .

(١٩) ابن الاثير 'الكامل في التاريخ' ١: ٢١٧-٢١٨ ، الطبري 'تاريخ الرسل والملوك' ١: ٧٣٢: ٣٥١ ؛ الشامي 'عرائس المجالس' ٣٨٠-٣٨١ ؛ السعدي 'سراج الذهب' ١ : ١٢٠-١٢١ : لقد خاط المزمخون هنا بين احداث عديدة فنسبوا قتل زكريا لامرين : اولهما هربه بعد موت ابنه يحيى ودخوله الشجرة وهذا ما تذكره الانجيل الموضوعة ولكن على نحو آخر وهو ان ميروودس ارسل فقتل الاطفال من عمر الثين فا دون . وكان يطلب يوحنا لانه كان مع من المجوس ان طفلاً ولد وسيكون الملك المنتظر ان يملك على بني اسرائيل ، فلما سمعت البصابات بطلب ميروودس حملت ابناً وهربت به الى مكان مقفر من الجبل ونادت الجبل لينفتح لها فانشق الجبل فاختبأت فيه مع ولدها . وعاد رسل ميروودس يطلبون الصبي من ابيه ، فاقم زكريا انه يجهل بوضع الام والولد ، فقتله ميروودس لينتد قرب المذبح ، راجع انجيل يهقرب الموضوع ، ٢٢-٢٣ : انجيل الطفولة ، في نصه الارمني ، ١٤ : ١-٥ .

والسبب الثاني في قتل زكريا هو قذفه بالفاحشة زوراً ؛ وهذه التهمة تذكرها الانجيل المنحولة ايضاً عن يوسف الشيخ النجار الذي كفل سريم ، ولكن يوسف فقد حوكم واذا ظهرت برأته قام يصبه اذى ، راجع انجيل متى المزموم ، ١٣ : ١ ؛ انجيل يهقرب الموضوع ، ١٥ : ٤ ؛ انجيل الطفولة الارمني ، ٤ : ٥ .

اما قصة هذب الرداء ، فهي من اصل عبراني وقد نسبت الى موت النبي اشيا فتخالطت كل هذه القصص وفيها التاريخ والاسطورة فأوجدت النص العربي كما قرأته .

(٢٠) التزالي 'احياء علوم الدين' ٤ : ٩٨ ؛ مكشفة القلوب ، ٨ ؛ الزيدي ، انصاف السادة الثمين ، ٩ : ١٤٦ .

(٢١) ابن عباد الرندي ، الرسائل الصغرى طبعة بولس نوبيا في الشرق ، ١٩٥٧ : ٧١ .

### سمائل يحيى

وفي بعض الاخبار أنه لما وُلد يحيى رُفِعَ الى السماء فتفتّحَ بأنتهار الجنة حتى نُظِمَ ، ثم أنزل الى ابيه وكان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله<sup>(٢٢)</sup> .  
 هذه حكمة الاولية في الاسماء . فان الله سَمَّاه يحيى اي يحيى به ذكره  
 ذكرها . ولم يجعل له من قبل سميّاً ، فجمع بين حصول الصفة التي ليسن غير  
 ممن ترك ولدًا يحيى ذكره وبين اسمه بذلك فسَمَّاه يحيى . فكان اسمه يحيى  
 كالعلم الذوقى فان آدم عليه السلام حيي ذكره بشيث ، ونوحاً حيي ذكره بسلام  
 وكذلك الانبياء عليهم السلام . ولكن ما جمع الله لاحد قبل يحيى بين الاسم  
 والعلم منه .

ثم انه تعالى بشره بما قدمه من سلامه عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث  
 حياً . فجاء بصفة الحياة وهي اسمه ، وأعلمه بسلامه عليه ، وكلامه صدق فهو  
 مقطوع به وان كان قول الروح<sup>(٢٣)</sup> : والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم  
 ابعث حياً اكل في الاتحاد والاعتقاد وارتفاع التأويلات . فان الذي انخرقت  
 فيه العادة في حق عيسى انا هو النطق فقد تمكن عقله وتكامل في ذلك الزمان  
 الذي انطقه الله ، ولا يلزم التسكن من النطق على اي حالة كان الصدق فيما  
 به نطق بخلاف المشهود له كعيسى . فسلام الحق عن يحيى من هذا الوجه ارفع  
 للالتباس الواقع في العناية الالهية من سلام عيسى على نفسه ، وإن كانت قرائن  
 الاحوال تدل على قربته من الله في ذلك وصدقه ، اذ نطق في معرض الدلالة  
 على براة امه في المهد فهو احد الشاهدين ، والشاهد الآخر هز الجذع اليابس  
 فقط رطباً جنياً من غير فعل ولا تذكير ، كما ولدت مريم عيسى من غير  
 فعل ولا ذكر ولا جماع عرفي معاد<sup>(٢٤)</sup> .

انما خصت الكلمة الجيورية بالحكمة الجلالية لان الغالب على حاله احكام  
 الجلال من القبض والحشية والحزن والبكاء . والجِد في العمل والهيبة والوقرة

(٢٢) الشطي ، عرائس المجالس ، ٣٧٦ .

(٢٣) الروح اي عيسى .

(٢٤) ابن العربي ، فصوص الحكم ، ٣٤١-٣٤٢ .

والخشرع في القلب ، فشربه . من حضرة ذي الجلال فكان دائماً تحت القبر ، وقد خذت الدروع في خده اخايد من كثرة البكاء ، وكان لا يضحك الا ما شا . الله . وكل ذلك من مقتضيات حضرة الجلال والقيام بحجتها ، وتلك قُتِل في سبيل الله وقُتِل في دمه سببون الفأ حتى سكن دمه من فورانه<sup>(٢٥)</sup> .

واختلفوا لما سمي يحيى . قال ابن عباس : لان الله تعالى احيا به عقر امه . وقال قتاده وغيره : لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان والنبوة . وقال الحسن بن فضل : لان الله تعالى احياها بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهيم به صفة ، دليله ما اخبرني به الحسن بن فتحويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلعم : ما من احد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة او عملها الا يحيي بن زكريا فانه لم يهيم ولم يعزل . قال الاستاذ : وكان شيخنا ابو القاسم الجنيدي يقول : سمي بذلك لانه اسشهد والشهداء عند ربيهم يرزقون . قال النبي صلعم : من هو ان الدنيا على الله ابن يحيى بن زكريا قتله امرأة . قال : وسميت ابا منصور الخشراوي يقول : قال عمر بن عبد الله المقدسي : اوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام ان قل لياره - وكان اسمها كذلك - : اني مخرج منكما عبداً لا يهيم به صفتي اسمه حي فحي له من اسمك حرفاً ، فوهبت له اول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها ساره - مصدقاً بكلمة من الله - يعني عيسى عليه السلام فسي كلمة لان الله تعالى قال له من غير اب : كن فكان ، فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها رُجِد . ويحيى اول من آمن بعيسى وصدقه ...

قال سعيد بن المسيب : وسيدا ، السيد : الفقيه العالم . وقال سعيد بن جبير : السيد الذي يطيع ربه عز وجل . وقال الضحاك : السيد الحسن الخليل . وقال عكرمة : الذي لا يفض . وقال سفيان : الذي لا يحد - وحضوراً ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : هو الذي لا يأتي النساء . ولا يتقربهن . فقول بمعنى فاعل ، يعني انه حصر نفسه عن الشهوات . وقال ابن المسيب والضحاك : هو السنين الذي لا باء له . ودليل على هذا التأويل ما اخبرني به

ابن فتحويه باسناده عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلعم يقول : كل ابن آدم يلتقى الله بذنب قد أذنبه يعذب به عليه ان شاء اررحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيداً وحصواً ونبياً من الصالحين . ثم اوماً الذي صلعم الى قذاة من الارض فاخذها قال...<sup>(٢٦)</sup> وقال المديني : الحصور الذي لا يدخل في اللب ولا الاباطيل<sup>(٢٧)</sup> .

فلما ولد رآه ابره حسن الصردة قليل الشعر قصير الاصابع مقرون الحاجبين دقيق الصوت قوياً في طاعة الله مذ كان صبياً : قال الله تعالى : آتيناك الحكم صبياً . قيل انه قال له يوماً البصيان امثاله : يا يحيى اذهب بنا نلعب ، فقال لهم : ما للعب خلقت .

وكان يأكل العشب واوراق الشجر<sup>(٢٨)</sup> ، وقيل كان يأكل خبز الشعير . ومر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال : انت ترعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير ، فقال يحيى : يا ملعون هذا القوت . فقال ابليس : ان الاقل من القوت لمن يموت ، فارحى الله اليه : اعقل ما يقول لك .

ونبي صغيراً فكان يدعو الناس الى عبادة الله ولبس الشعر ، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يكن اليه أين جئته الليل ، ولم يكن له دينار ولا درهم ولا أمة واجتهد في العبادة فنظر يوماً الى بدنه وقد نحل فبكى ، فارحى الله اليه : يا يحيى أتبكي لما نحل من جسك ، وعزقي وجلالي لو اطلت في النار اطلاعة لتدعت الحديد عوض الشعر ، فبكى حتى اكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراره للناظرين ، فبلغ ذلك امه فدخلت عليه واقبل زكريا ومعه الاحبار فقال : يا بُني ما يدعوك الى هذا ، قال : أنت أمرتني بذلك حيث قلت : ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا بالكون من

(٢٦) الطلبي ، عرائس المجالس ، ٣٧٤-٣٧٥ .

(٢٧) حذفت الجملة التالية وفقاً للقارئ .

(٢٨) وقد اورد الانجيل وصفا لزهدي المسدان : « وكان لباس يوحنا من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد ركان طعامه الخبز وعسل البر » ٣ : ٤ ؛ « عظيماً امام الرب لا يشرب خمرًا ولا مسكرًا » لوقا ١ : ١٥ ؛ وهذا الرفض الانجيلي لكل لهو هو مصدر الحادثة التي اوردها مؤرخو الاسلام عن رفضه اللب مع الصبيان .

خشية الله ، فقال : فابك واجتهد اذن . فصنعت له امه قطعتي لبد على خديه  
توارى اضراره فكان يبكي حتى يبأها . وكان زكريا اذا اراد يعظ الناس  
نظر فان كان يحيى حاضراً لم يذكر جنة ولا ناراً<sup>(٢٩)</sup> .

دخل يحيى بن زكريا عليها السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجيج فنظر  
الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا  
التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فباله  
ذلك ، فرجع الى ابيه فمر بصبيان يلعبون ، فقالوا له : يا يحيى هلم لنلعب فقال :  
اني لم اخلق للعب . قال : فاتي ابيه فسالها ان يدرعاه الشعر ففعلوا فرجع الى  
بيت المقدس وكان يخدمه نهياً ويصبح فيه ليلاً حتى اتى عليه خمس عشرة سنة ،  
فخرج ولزم اطواد الارض وغيّر ان الشعاب فخرج ابراه في طلبه فادركاه على  
بحيرة الاردن وقد أتقع رجله في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول :  
وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم ان مكاني منك . فسأله  
ابوه ان ينظر على قرص كان ممها من شمع ويشرب من ذلك الماء . ففعل وكفر  
عن عينه فُدح بالهر ، فرده ابراه الى بيت المقدس . فكان اذا قام يصلي  
بكى حتى يبكي معه الشجر والمدّر ويبكي زكريا عليه السلام لبيكاته حتى  
ينسى عليه ، فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبيدت اضراره  
لناظرين ، فقالت له امه : يا ابني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئاً توارى به  
اضرارك عن الناظرين فاذن لها فمدت الى قطعتي لبرد فألصقتها على خديه  
فكان اذا قام يصلي بكى ، فاذا استتمت دموعه في القطعتين أتت اليه امه  
فمضرتها ، فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعي امه قال : اللهم هذه دموعي  
وهذه امي وأنا عبدك وانت ارحم الراحمين . فقال له زكريا يوماً : يا بني انما  
سألت ربي ان يبكي لي لتقر عيناى بك . فقال يحيى : يا أبت ان جبريل عليه  
السلام اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء ، فقال زكريا  
عليه السلام : يا بُني فابك<sup>(٣٠)</sup> .

(٢٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ٢١٣:١ ؛ الشامي ، عرائس المجالس ، ٣٧٩ .

(٣٠) النزالي ، احياء علوم الدين ، ١٣١:٤ ؛ الزبيدي ، انصاف السادة المتقين ، ٩:٢٤٨ ؛

روي عن يحيى بن زكريا عليها السلام انه لبس المسوح حتى تقب جلده  
تركاً للتبتم بلين اللباس واستراحة حس اللس فألته امه ان يلبس مكان  
المسح جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه : يا يحيى آثرت علي الدنيا ،  
فبكي وترع الصوف وعاد الى ما كان عليه<sup>(٣١)</sup> .

قال علي بن أبي طالب : شبع يحيى بن زكريا عليها السلام من خبز شعير  
فنام عن ورده حتى اصبح فأوحى الله تعالى اليه : يا يحيى أوجدت داراً خيراً  
لك من داري ، أم وجدت جواراً خيراً لك من جوارتي ، فوعزتي وجلالي يا  
يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعةً لذاب شحك ولزهقت نفسك اشتياقاً .  
ولو اطلعت الى جهنم اطلاعةً لذاب شحك ولبكيت الصديد بعد الدمع  
ولبست الجلد بعد المسوح<sup>(٣٢)</sup> .

كان طعام يحيى بن زكريا العشب وانه كان ليبيكي من خشية الله تعالى  
ما لو كان النار على عينيه لاحرقه ، ولقد كانت الدمع اتخذت مجرى في وجهه<sup>(٣٣)</sup> .

عن المحاسبي : أوحى الى يحيى بن زكريا عليها السلام : اني قضيت على  
نفسي ان لا نجني عبد من عبادي أعلم ذلك منه الا كنت سمعته الذي يسمع  
به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي يفهم به فاذا كان ذلك كذلك  
بعضت اليه الاشتغال بغيري وأدمت فكرته وأسهرت ليله وأظلمات نهاره .

يا يحيى انا جليس قلبه و غاية امنته وامله أهب له كل يوم وساعة فيتقرب  
مني واتقرب منه واسمع كلامه وأجيب تضرعه ، فوعزتي وجلالي لا يبعثه مبعثاً

عيد الضرير ، ترمه الناظرين ، ٣٤١ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٣ ؛ قابل  
بما يقول الانجيل عن زهد يوحنا ، متى ، ٣-١-٦ ؛ مرقس ، ١-٤-٦ ؛ لوقا ، ١٥:١-٨٠ ؛  
٣ : ٢-٣ .

(٣١) النزالي ، احياء علوم الدين ، ٦ : ١٦٣ ؛ الزيدي ، انحاف السادة المتقين ، ٩ : ٣٤٧ ؛  
ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٣ : ١٩٢ ؛ قابل بالانجيل ، متى ، ٣ : ٤ ؛ ١١ : ٨ .

(٣٢) النزالي ، احياء علوم الدين ، ١ : ٢٤٣ ؛ الزيدي ، انحاف السادة المتقين ، ٥ :  
١٨٧ ؛ ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ٣٢٤ .

(٣٣) ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوک ، ٢٥ .

يفطه به النبيون والمرسلون ، ثم أمر سادياً يتادي : هذا فلان بن فلان ولي الله وصيته وخيرته من خلقه دعاه الى زيارته ليشفي صدره من النظر الى وجه الكزيم ، فاذا جاءني رفعت الحجاب فيما بيني وبينه فنظر الي كيف شاء ، وأقول أبشراً ، فوعزتي وجلالي لاشفين صدرك من النظر الي ولأجددن كرامتك في كل يوم ليلة وساعة<sup>(١)</sup> .

قال النبي صلعم : ان الله امر يحيى بن زكريا بحس كلمات لي عمل بها ويأمر بني اسرائيل ان يصلوا بها وانه كاد يعطى ، فقال عيسى : ان الله امرك بحس كلمات لتعمل بها وتأمر بني اسرائيل ان يعملوا بها فامأ ان تأمرهم واما ان أمرهم ، فقال يحيى : اخشى ان يسبقتني بها ان يخسف بي او أعذب . فجمع الناس في بيت المقدس فامتلاً المسجد وقعدوا على الشرف ، فقال : ان الله أمرني بحس كلمات ان اعلم بين وأمركم ان تعملوا بهن اولهن ان تبدوا الله ولا تمسكوا به شيئاً فان مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بنهب او ورق ، فقال : هذه ذاري وهذا عملي فاعمل وأذر الي ، فكان يعمل ويؤذي الي غير سيده فأيكتم يرضى ان يكون كذلك . وان الله يأمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

وأمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مك وكلهم يعجب او يعجبه ويحيا وان ربيع الصائم عند الله اطيب من ربيع الملك . وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدر فأوثقوا يده الي عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : انا افديه منكم بالليل وبالكثر ففدى نفسه منهم .

وأمركم ان تذكروا الله فان مثل ذلك كمثل رجل خرج المسدو في اثره سراعاً حتى اتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم ، كذلك البعد لا يجرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله<sup>(٢)</sup> .

(١) ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ١٠ : ٨٢ .

(٢) مخطوطة . مكتبة الاسكوريال ، عدد ١٩٤٩ : ١٣ صفحة ٧ ، ذكره ابن

... عن النبي انه قال : رجم الله أخي يحيى حين دعاه العيان الى اللب وهو صفيح فقال : ما لللب خلقت ، فكيف بين ادرك الخث من مقاله<sup>(٢٦)</sup> .  
يروى عن يحيى بن زكريا عليها السلام انه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له : « لم فعلت هذا ، فقال : ما ظننتها الا جداراً<sup>(٢٧)</sup> .

قال يحيى بن زكريا للكذابين من بني اسرائيل : يا نسل الانعامي من ذلكم على الدخول في المساخط الموبقة بكم ! ويلكم تقربوا بعمل صالح ولا تترنكم قرابتكم من ابراهيم فان الله قادر على ان يستخرج من هذه الجنادل نسلاً لابراهيم ! ان الناس قد وضعت في اصول الشجر فأخلق بكل شجرة مرة الطعم ان تقطع وتلقى في النار<sup>(٢٨)</sup> .

قال يحيى لعيسى عليها السلام : لا تكن حديد النظر الى ما ليس لك فانه لن يزني فرجك ما حفظت نظرك . فان استطعت ان لا تنظر الى ثوب المرأة التي لا يجمل لك فافعل ولن تستطيع ذلك الا باذن الله تعالى<sup>(٢٩)</sup> .  
قيل ليحيى : ما بدد الزنا ؟ قال : النظر والتسني<sup>(٣٠)</sup> .

بلايوس في الموسوعة الشرقية ١٠ : ٥٦٠ ، عدد ١٤٣ ، تاباً ؛ السرقندي ، تنبيه الناظرين ، ١٤٣ .

(٣٦) المندي ، كثر المال ، ٦ : ٢٠٤٢ ذكره ابن بلايوس في الموسوعة الشرقية ١٩ : ٥٩٥ عدد ٣١٢ .

(٣٧) النزالي ، احياء عارم الدين ، ٩ : ٢٨٦ ؛ الزبيدي ، انصاف السادة المتقين ، ١٠ : ١٠١ .  
(٣٨) ابن عدي ربه ، العقد المفيد ، ١ : ٢٧٧ ؛ قابل بما ورد في الانجيل على لسان النبي ذاته ؛ متى ٣ : ٧-١٠ ؛ لوقا ٣ : ٧-٩ ؛ يا اولاد الافاعي من ذلكم على الحرب من السخط الآتي ، اغثروا ثمرًا يلبث بالتوبة ولا يخطر لكم ان تكونوا في نفوسكم ان ابانا ابراهيم لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولاداً لابراهيم . ها ان القاس وضعت على اصل الشجر فكل شجرة لا تسر ثمرة جيدة تقطع وتلقى في النار . «

(٣٩) عيد الضمير ، ترحة الناظرين ، ١٩٥ ؛ قابل بالانجيل ، متى ٥ : ٢٨ ؛ ان كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه . «

(٤٠) النزالي ، احياء علوم الدين ٣ : ٧٤ ؛ الزبيدي ، انصاف السادة المتقين ، ٧ : ٤٣ ؛ قابل بالانجيل متى ٥ : ٢٨ .

مر يحيى بن زكريا عليها السلام بقبر دانيال النبي<sup>(١)</sup> عليه السلام فسمع صوتاً من القبر يقول : سبحان من تفرز بالقدرة وقهر العباد بالموت ، فغضى ؛ فاذا هر بصوت من السماء . : انا الذي تفرزت بالقدرة وقهرت العباد بالموت ؛ من قاضن استغفرت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن<sup>(٢)</sup> .

ذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى انه قال : ان ابليس لقي يحيى بن زكريا عليها السلام فقال له يحيى بن زكريا : اخبرني عن طبائع ابن ادم عندكم فقال ابليس : : اما صنف منهم فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شي . ؛ والصنف الثاني فهم بايدينا كالكرة في ايدي صيانتكم وقد كفتونا انفسهم ؛ والصنف الثالث فهم اشد الاصناف علينا فتقبل على احدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفرغ الى الاستغفار فيفقد به علينا ما ادركنا منه فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه<sup>(٣)</sup> .

ذكر عن يحيى عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه ما ليق فقال له يحيى : ما هذه ؟ فقال : هذه الشهوات التي اصيد بها بني آدم ، فقال له : هل تجدني فيها شيئاً ؟ قال : لا الا انك شبيت ذات ليلة فتقلناك عن الصلاة ، قال : لا جرم اني لا اشبع بعدها ، قال ابليس : لا جرم اني لا انصح بعدها احداً ابداً<sup>(٤)</sup> .

لقي يحيى بن زكريا عليها السلام ابليس في صورته فقال له : يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك ، فقال : احب الناس الي المازن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي . قال له : لم ؟ قال : لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله .

(١) ابن يوحنا (يحيى) ودانيال النبي اكثر من خمسمائة سنة حسب التاريخ .

(٢) الديبري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٥٠ .

(٣) السرقندي ، تنبيه النافلين ، ٣١٧ ؛ قابل بقصة القديس باخوميوس وقد ظهر له

ابليس بصرة امرأة فاخبره عن التجارب التي بها يصطاد الناس ، راجع : حياة الاله ، ١٣٥ .

مينا ، طبعة روزفيد (Rosveyde) .

(٤) النزالي ، منهاج العابدين ، ٣٢ .

ثم رلى وهو يقول : لولا انك يجيى لما اخبرتك<sup>(٥٥)</sup> .

وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه قال لابايس : هل وجدت مني شيئاً قط ؟ قال : لا ، الا انك ربما شبت فتقلت عن الصلاة . فاهد الله تعالى ان لا يشبع حتى يخرج من الدنيا<sup>(٥٦)</sup> .

انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ، اي لم نجعل احداً لم يذنب سواه ، لان يحيى من الحياة ، وقد احيا الله تعالى قلبه به فلم يذنب ولم ييم به . قال عليه السلام<sup>(٥٧)</sup> : ما من آدمي اخطأ او هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا<sup>(٥٨)</sup> .

بلغنا ان الحديث ابليس تبدي يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له : اني اريد ان اتصحك ، فقال : كذبت انت لا تصحني ولكن اخبرني عن بني آدم ، فقال : هم عندنا على ثلاثة اصناف ، اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا ، تقبل حتى فتنه ونستمكن منه ثم يفرغ الى الاستغفار والتوبة فيفسد اينا كل شي . أدركنا منه ، ثم نعود له فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء . واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم تلقيمهم كيف شئنا ، قد كفونا أنفسهم . واما الصنف الآخر منهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شي . فقال له يحيى على ذلك : هل قدرت مني على شي . قال : لا إلا مرة واحدة فانك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل اشبهه اليك حتى اكلت اكثر مما تريد ، فممت تلك الليلة ولم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها . قال : فقال له يحيى : لا جرم ،

(٥٥) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٣ : ١٧٦ ؛ مكاشفة القلوب ، ٥٥ ؛ الزبيدي ، اتحاف السادة الثميين ، ٨ : ١٩٩ ؛ ابن العربي ، محاضرة الابرار ، ١ : ٦٥ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٣٩٢ .

(٥٦) الترمذي ، نوادر الاصول ، ٢٨٣-٢٨٤ .

(٥٧) محمد في حديث مذكور عنه .

(٥٨) الترمذي ، نوادر الاصول ، ١٨٥ ؛ يحيى لم يم ذنب ؛ واما عيسى فقد عم قبل

مولده من كل ذنب .

لا شبت من طعام ابداً حتى اموت ، فقال له الحيث : لا جرم ، لا نصحت آدمياً بعدك<sup>(١١)</sup> .

ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج امرأة ولم يقربها ، قيل لفض البصر ، وقيل للفضل في ذلك كأنه اراد ان يجمع الفضائل كلها ، قيل للسنة<sup>(١٢)</sup> .  
ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتأهلين وهم خمس وثلاثون ، وقد ذكرنا آنفاً ان يحيى عليه السلام قد تزوج ، واما عيسى فانه سينكح اذا نزل من السماء ويولد له<sup>(١٣)</sup> .

### مصراع يحيى

وقيل ان عيسى بعث يحيى بن زكريا في اثني عشر من الخواريين يعلمون الناس . قال : وكان فيما نههم عنه نكاح بنات الاخ . . . وكان للمكهم ابنة اخ تعجبه يريد ان يتزوجها ، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك امها قالت لها : اذا دخلت على الملك فألك حاجتك فقولي : حاجتي ان تدبج لي يحيى بن زكريا ، فقال : سليني غير هذا . قال : فلما آبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبجه فبذرت قطرة من دمه على الارض فلم نزل تنلي حتى بعث الله مختصر فجاءته ، عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فالتى الله في قلبه ان يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين الفاً منهم في سن واحدة فسكن . . .

ثم ان ملك اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويديني مجسه ويستشيره في امره ولا يقطع امرًا دونه وانه هوى ان يتزوج ابنة امرأة له فسأل يحيى عن ذلك فنهاه عن نكاحها وقال : لت ارضاها لك . فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فصعدت الى الجارية حين جلس الملك على شرايه فألبستها ثياباً رفاقاً حمراً وطيتها وألبستها الحلي وألبستها فوق ذلك

(٩٩) عن وهيب بن الورد ، ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٨ : ١٤٨

(١٠٠) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٦ : ١٥٣ ؛ في السنة ان النكاح خير من التبتل ، وقد قال النبي : خافوا لقاء الله عزباً . . . وان سجدة واحدة من متأجل خير من الف سجدة من متقبل . . . الى ما هنالك من احاديث بهذا النوع .

(١٠١) ابو طالب المكي ، قوت القلوب ، ٩ : ١٥٥ ؛ انظر في ادناه ، الفصل التاسع .

كساء اسود فأرسلتها الى الملك وأمرتها ان تسقيه وان تعرض له فان ارادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فان اعطاها ذلك سألته ان توتى برأس يحيى بن زكريا في طست ، ففعلت فجملت تسقيه وتعرض له ؛ فلما اخذ في الشراب ارادها على نفسها فقالت : لا افعل حتى تعطيني ما أسألك ، قال : ما سألتني ؟ قالت : أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فأؤتي برأسه في هذا الطست ؛ فقال : ويحك سأليني غير هذا ، قالت : ما اريد ان أسألك الا هذا . قال : فلما أبت عليه بعث اليه فأتي برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول : لا تمحل لك . فلما اصبح اذا دمه ينلي فامر بتراب فألقي عليه فرقى الدم فوق التراب فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك ينلي<sup>(٢)</sup> . . .

(٥٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧١٣-٧١٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١ : ٢١٤ ؛ الشلي ، عرائس المجالس ، ٣٧٩ ؛ اما نهاية النصة كما يذكرها الطبري وناقده ابن الأثير ، فهي ان ام الجارية صمدت الى سطح قصرها فسقطت الى الارض واكلتها الكلاب ، وهي مأخوذة عن قصة ايزابال الملكة التي قتلت نابوت اليزرائيلي وقد نبأ لها النبي ايليا عن مية كهذه ، وهكذا ماتت ولحمت الكلاب دما ، راجع سفر الملوك الثالث ، ١٩ : ٢١ ؛ ويتابع الطبري وابن الأثير والشلي . . . القصة فاذا مالمالك ينتصر تقوده امرأة من بني اسرائيل الى مكان غليان الدم وتجره كيف يمكنه ان يفتح المدينة . وهكذا يقتل سبعين الفاً من اليهود فيسكن الدم . وتخرج بكل هذا قصة دانيال في جب الاسود وسي اليهود الى بابل الى ما هنالك من المناقضات . ولقد ادرك الطبري ذلك فقال عنه مستنداً الى اجل العلم من النصارى واليهود باث « باطل عند أهل السير والتاريخ وأهل العلم بأمور الماضين وذلك بانهم مجمعون اجمعون على ان يختصر غزاه بني اسرائيل عند قتالهم نبيهم شميا في عهد ارميا بن حلفيا وبين عهد ارميا وقتل يحيى اربعمائة سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى » الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ : ٣ : ٧١٨-٧١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٣ : ٢١٥ ؛ وهكذا يكون المؤرخ هم باصلاح تناقض تاريخي فسقط في آخر اذ ان اشيا لم يكن في عهد ارميا وبين الاثنين اكثر من مائة سنة ( اشيا نبؤ حوالي ٧٥٠ ق . م . و ارميا ، حوالي ٦٢٢ ق . م . ويقول ابن الأثير ، ١ : ٢١٥-٢١٦ ، تقيلاً عن الطبري ، ١ : ٣ : ٧٢١-٧٢٣ : « اما ابن اسحاق فقال الحق . . . ويرد قصة رجوع بني اسرائيل من جلاء بابل وتكرارهم قتل الانبياء الى ان كان آخر من قتلوا يحيى بن زكريا ؛ اذ ذاك بعث الله عليهم ملكاً من بابل اسمه جوورس أو خردوس أو جردوس ، وهذا بعث تانداً من مملكة نيوذاذان او تيورذاذان الذي جاء بيت المقدس فسأل عن سبب غليان

والنصارى ترمع ان يحيى ولد قبل عيسى بستة اشهر وان الذي قتله ملك بني اسرائيل يقال له هيرودوس بسبب امرأة يقال لها هيروديا وكانت امرأة اخ له اسمه نيلفوس عشقها فوافقته على الفجر وكان لها ابنة يقال لها دمي فاراد هيرودوس ان يطأ امرأة اخيه المسماة هيروديا فنهاه يحيى واعلمه انه لا تحل له . فكان هيرودس ممجباً بالابنة فألتمه يوماً ثم سأله حاجة فأجابها اليها وامر صاحبها له بالنفوذ لما تأمره فأمرته ان يأتيها برأس يحيى ففعل فلما عرف هيرودوس الخبر اسقط في يده وجزع جزعاً شديداً . . .<sup>(٥٦)</sup>

الدم فلم يصدقه الخبر ، فذبح سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤسهم فام جداً الدم ثم ذبح سبعمائة من علمانهم فلم جداً . ثم سأل وتوعد فاجبروه الحق . اذ ذلك يخاطب الدم لينداً فيهدأ . ويؤمن هو يدين بني اسرائيل ويخبرهم ان الملك اقم بان يسيل دماؤهم في وسط عكركه . ولكي يفي بقسم سيده يقتل « خيلاً وحميراً وبقراً وغنماً وابلاً ويجري عليه ماء فيجري الدم في السكر ويضع القتل الاولين فوق المواشي فيرى الملك الدم والقتل فيقول له كفى » - ولا بد من الاشارة الى تناقض احبر وهو يحيى . نيوزردان في زمن يحيى ، وقد ذكره الكتاب المقدس في كلامه عن هدم الهيكل وسي بني اسرائيل الى بابل . وكان ذلك تحت قيادته سنة ٥٨٧ قبل المسيح ويحيى ، راجع الكتاب المقدس ، سفر الملوك الرابع ، ٣٥ : ٨ .

تجد القصة ذاتها عند اليهود وهذه فقرة منها : « واذا وجد نيوزردان في ذلك الوادي دم النبي زكريا وهو غير زكريا ابي يحيى بل زكريا بن براخيا الذي تكلم برعته الانجيلي ( سأل السكان : ما هذا الدم ؟ فاجابوه اولاً : انه دم الحيوانات التي تقدم في الهيكل هكذا حرقاً عند ابن الانبياء ) . ولكن اذ اخرجهم بالسؤال اعترفوا له انه دم النبي الذي قُتل منذ سنوات ، عند ذاك اجابهم قائد الملك البابلي : سأهدئ هذا الدم ، وهكذا فيبعد ان قتل كثيراً من الشبان فتيات واطفالاً ما زجاً دماؤهم بدم النبي ما برح الدم ينزل ، فقال نيوزردان عندئذ : زكريا ، زكريا لقد قتلت افضاهم اريد ان اقتلهم جميعاً ؟ وللعال هدأ دم النبي » ، راجع التورود البابلي : بابي ، حنين ، ٥٢٠ شيئاً .

(٥٣) الطبري ، تاريخ ارض الملوك ، ٧١٩ : ٣٠١ ، ابن الانبياء ، الكامل في التاريخ ، ٢١٣ : ٢١٤ ؛ السليبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٠ ؛ اما المصدر اخق المنسوب الى النصارى فهو هذا كما تجده في الانجيل : ٥ . . . لان هيرودس كان قد ارسل وامسك يوحنا واوثقه في السجن من اجل هيروديا امرأة اخيه فيلبس لانه كان قد تزوجها فكان يوحنا يقول لهيرودس انه لا يحل لك ان تكون لك امرأة اخيك . وكانت هيروديا تترصد وتريد قتله فلم تستطع لان هيرودس كان يخاف من يوحنا لعله يانه رجل بار وقديس ويحافظ عليه

وفي الخبر ان الشمس بكت على يحيى اربعين صباحاً وكان بكاؤها ان طلعت وغربت حمراء . وروى ان يحيى سيد الشهداء . يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله اعلم<sup>(٤١)</sup> .

### يحيى يوم القيامة

ان الموت 'يُجاء' به يوم القيامة في صورة كبش املح يعرفه الناس ولا ينكره احد فيذبح بين الجنة والنار . روي ان يحيى عليه السلام هو الذي يضجعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون اليه<sup>(٤٢)</sup> .

فان الله يُظهره يوم القيامة في صورة كبش املح ويُنادى : يا أهل الجنة فيشرئبون ، ويُنادى : يا أهل النار فيشرئبون ، وليس في النار ذلك الوقت الا اهلها . فيقال للفريقين : أتعرفون هذا ، وهو بين الجنة والنار ، فيقولون : هو الموت . ويأتي يحيى عليه السلام ويده الشفرة فيضجعه ويذبحه وينادي مناد : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت ! وذلك يوم الحسرة<sup>(٤٣)</sup> .

وكان يصنع اموراً كثيرة على حسب ما سمع منه وبصفي اليه بانساط . ولما كان اليوم الموافق وقد صنع هيرودس في مولده عشاء لظفائه وقواد الالوف واعيان الجليل دخلت ابنة هيروديا ورقصت فأعجبت هيرودس والمتكئين معه فقال الملك للصبية : سليني ما أردت فأعطيك وحاف لها ان مها سألت مني أعطيك ولو نصف مملكتي فخرجت وقالت لامها : ياذا أسأله ، قالت : رأس يوحنا المسدان . وللوقت دخلت على الملك بسرعة وسألت قائلة : اريد ان تعطيني على الفور رأس يوحنا المسدان في طبق . فاستحوذ على الملك حزن شديد ولكنه من اجل السنين والمتكئين معه لم يرد ان يصدفها ، ولما سمعته أنفذ سيقاناً وأمر ان يأتي برأسه في طبق . فانطلق وقطع رأسه في السجن وأتى برأسه في طبق ودفعه الى الصبية فذفته الصبية الى امها . ٤٠ مرقس ٦ : ١٧-٢٨ ؛ متى ١٢ : ٣-١٢ .

(٥٤) الشلبي ، عرائس المجالس ، ٣٨٠ .

(٥٥) ابن العربي ، الفتوحات المكيّة ، ١ : ٢٤٥ ؛ ٢ : ٣١٩ .

(٥٦) ابن العربي ، الفتوحات المكيّة ، ١ : ٣٥٢ ؛ ٣ : ١٣٣ ؛ ٢ : ٢٤٥ ؛ وكذلك

قال ابو قيس في كتاب خلق التملين ؛ وقال غيرهما : « يتولى جبريل ذبح الموت لا السيد يحيى » ، الشعرائي ، مختصر تذكرة الامام الفرطبي ، ١٠٩ .